اسماك المياه الباردة

وحيدة تخلفت من موكب الاسماك
اشتدت الحرارة
وعادت الاسماك للشمال
للسواحل الباردة الحجارة
وحيدة تخلفت عارية نقية
غريبة نقيــة
تبحث في السواحل الدافئة الرمال
عن ملجأ ، اغنية شعبية
هام بها صياد .

ومرت الايام والليال
وازدادت الرمال
سخونة ، وهذه النقية
تبحث بين العشب ما تزال
عن صاحب الاغنية .

لم تتحمل غربة السواحل
لم تتحمل غربة الوجوه
لم تتحمل غربة الحديث
لم تتحمل غربة المياه
لم تجــد الاغنية .

كسيرة عادت لساحل الشمال
مسافة طويلة طويلة
وحيدة ، حزينة ، عارية ، خجولة
غريبة نقيــة .

يسرى خميس

ومساء أمس قد وضعت زوجتي بعد مخاض عنيف . هل يجب علي أن أفرح ؟ لم أعد أحتمل أن يزداد عندي طفل جديد ، كفـــى الاربعة الموجودون . ان مجيء انسان صغير الى العالم هو مجيء المشاكل : مرض يومي ، سعال طويل في الليل ، مرحلة تكوين الاسنان المتعبة ، وأيضا مرض « بو مصرون » ، زيارة الطبيب أثناء كل فترة ، مـــرض الام المفاجيء ، اه ، يجب الاحتراس من البرد الخ... لاشرب أيضا . أنا لا أريد أن أشتري هذه الدمية ، فطفلتي الصغيرة ، التي تركتها تمرح في الغرفة ، لها دمية اخرى حية ، انهـــا قطة صغيرة جميلـة ، مخلوق أليف ذو ذيل أسود وشعر رمادي ، لكن الدمية ليست هـي القطة . يجب أن أشتريها لطفلتي كي تكتشف في جمودها فوتهـــا الناشئة .

ورفع الدمية الى عينيه : سواء كانت جميلة أم قبيحة فللهـم ان تكون سليمة . وفكر : « لقد تعودوا أن يبيعوا لنا دمى مزيفة » ؟

الرجل : درهمان
الطفل : لا
الرجل : ثلاث دراهم
الطفل : لا
الرجل : أربعة دراهم
الطفل : لا
الرجل : خذ دميتك اذن .

وطلب بيرة أخرى وأخذ الطفل دميته وبدأ يتجول داخل المقهى . ان بيع هذه الدمية يكاد يكون مشروعا مستحيلا .

***

قال مارسيل : بكم هذه الدمية ؟
قال صالح : عشرة دراهم .
قال مارسيل : اه ـ انك ترتفع بالثمن
قال صالح : كم تريد أن تدفع ؟
قال مارسيل : ثمانية
قال صالح : لا .

وقال الرجال الواقفون : انك لا تريد ان تبيع دميتك ، انـــت سيىء الحظ .

واجاب صالح بعناد : انا اعرف ماذا افعل ؟

وانتهى مارسيل من شرب كأسه وخرج : الطفل لا يريد أن يبيع دميته . الامر اذن سواء . لقد أردت الدمية لطفلتي الصغيرة جانيت، ولكنه لم يرد ، الامر سواء .

وافتقد صالح مارسيل وسط المقهى ، وسأل عنه الرواد فأجابوه بجفاء بأنه قد خرج، أنت الذي لم ترد أن تبيع دميتك ، جاءك الحظ فطردته بسرعة . لماذا ؟ لقد صدق الرجال الواقفون ، أنت سيىء الحظ!

وخرج صالح يجري مهرولا وفي يده اليمنى دميته : أين مارسيل ؟ هل اختفى ؟ أريد أن أجد مارسيل ليأخذ الدمية لطفلته الصغيرة . ومن بعيد كان مارسيل يبدو قصيرا ، يتهادى محاذيا بناية البنك الضخمة ويداه في جيبي معطفه ، وكان صالح قد تبعه يجري .

صالح : اذن هات ما قلت لي يا مارسيل .
مارسيل : لقد انتهى كل شيء . أنت لم تقبل في البداية .
صالح : لقد قبلت الان .
مارسيل : أنا لا أقبل الان . الى غد .

وذهب مارسيل وبقي صالح يتبعه بنظراته الحزينة . لقد ضيعت الفرصة ، من يتحمل فشلي هذه الليلة ؟ وعاد الى المقهى حيث تتـرك ما تبقى من دماه فوق احدى الطاولات . انا الذي اتحمل مسؤولية عدد بيع الدمية ، لكن ما يزال هناك امل ، ساعود الى الرجل لكي تأخـــذ الدمية . ودخل المقهى فاشلا ، وكان الرجل ما يزال واقفا يشرب البيرة.

الرجال كلهم : اذن ماذا فعلت ؟
الطفل : لا شيء . لم يرد مارسيل الدمية .
الرجال : انت ضيعت فرصتك ، انت سيىء الحظ .
الطفل : اوف .. لا شيء يهم .
الرجال : خسارة ..!
الطفل للرجل : خذ الدمية اذن .
الرجل : لم اعد بحاجة اليها .
الطفل : انها جميلة ، انظر
الرجل : لا .

الطفل بغضب واضح : ليكن . بيت دماي طماطم متى تتعفن . غدا سأبيعها كلها .

الرجل : في صالحك .

وخرج صالح بدماه وهو مهزوء : ان العالم ضدي .

الدار البيضاء

ادريس الفوري